

اختي أنتِ حمراءُ قُبُحاً !!

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: قال بعضهم لمن استوصاه: اتق الله أن يكون

أهون الناظرين إليك.

رسائل ابن رجب (١٦٤/١)

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
أَنْتَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْأَنْصَارِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْأَنْصَارِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

مجموع الطبع محفوظة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

طبع ونشر وتوزيع



دار الحديث السلفية
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع

اليمن - لنج - تبين - بجوار دار الحديث السلفية بالفيوش

٧٧١٠٤٩٠٠١ / ٧٧٢١٦٢٧٣٠



مكتبة أبي همام للطباعة
مجموعة واتساب



امسح هذا الرمز المربع ضوئياً باستخدام كاميرا واتساب
للاضمام إلى هذه المجموعة



تعريف المراقبة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد :

فمن المقامات العظيمة ومن العبادات الجليلة عبادة مراقبة الله رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والمراقبة عرفها ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في مدارج السالكين فقال: « هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق على ظاهره وباطنه »^(١).

(١) مدارج السالكين (٢/ ٦٥).

وقيل المراقبة: مراعاة القلب لملاحظة الحق مع كل
خطرة وخطوة (١).

وقال ابراهيم الخواص: « المراقبة خلوص السر
والعلانية لله » (٢).

هذه عبادة المراقبة، دوام واستمرار لهذا الحال ولهذا
الشعور، وهو أن تكون على علم ويقين أن الحق
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مطلع على ظاهرك وباطنك، مطلع على
عملك كل وقت، وكل لحظة، وكل نفسٍ، وكل طرفة
عين يسمع كلامك، ويرى مكانك، ويعلم سرّك ونجواك.
قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

(١) مدراج السالكين (٢/ ٦٦).

(٢) المرجع السابق.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة آل عمران: ٥].

وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [سورة غافر: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٥] هذه عبادة المراقبة وهذا مقام عظيم، والموفق من وفقه الله.

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً
وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ





ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مدارج السالكين (١) - وهو يتكلم على حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» - ذكر أَنَّ هذا مقام المراقبة (٢) الجامع لمقام الإسلام والإيمان والإحسان.

أخي في الله اعلم أَنَّ هذا العبادة العظيمة ليست لباساً يُرتدى، وليست طعاماً يُنتقى، وإنما تعبدُ الله في أشرف المقامات.

وقد قيل: «أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات».

(١) (٢/ ٢٠٩).

(٢) يكون شعوره قويا بمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ حتى كأنه يراه تعالى ويشاهده وتسمى كذلك منزلة المشاهدة كما سيأتي (ص ٣٣).



من تعبد لله بخمسة من

أسمائه حقق المراقبة

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ من تعبد الله بخمسة أسماء
من الأسماء الحسنی فقد حقق المراقبة.

وهذه الأسماء هي:

- العليم - والسميع - والبصير - والرقيب -
والشهيد^(١).

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾

[سورة الأعراف: ١٨٠]

(١) مدارج السالكين (٢/ ٦٦).

فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له
المراقبة.

فسمعه سبحانه وسع جميع الأصوات قال تعالى:
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

[سورة المجادلة: ١]

وبصره سبحانه وسع جميع المرئيات قال تعالى: ﴿مَنْ
كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخَفُونَ
عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة فصلت: ٤٠].

وعلمه سبحانه أحاط بكل شيء قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة المجادلة: ٧]

وهكذا هو الرقيب والشهيد على كل شيء، قال الله عزَّ وجلَّ عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة: ١١٧] وقال تعالى: ﴿لَا يَحِطُّ لَكَ الْنِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾

[سورة الأحزاب: ٥٢]

وهكذا الحفيظ على كل شيء قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [سورة هود: ٥٧] فجميع الأعمال محفوظة، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨]، فمن تعبد لله **عَزَّجَلَّ** بمقتضى هذه الأسماء فقد حقق المراقبة.

سُئِلَ بعضهم عن المراقبة فقال: «إِذَا كُنْتَ فَاعِلًا فانظر نظر الله إليك، وَإِذَا كُنْتَ قَائِلًا فانظر سمع الله إليك، وَإِنْ كُنْتَ سَاكِتًا فانظر علم الله فيك» (١).

إِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَظْهَرُ الْإِحْسَانُ وَيَبْطِنُ الْإِسَاءَةُ، يَظْهَرُ الصَّلَاحُ وَيَبْطِنُ الْفَسَادُ، رَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا **رَحِمَهُ اللَّهُ** فِي كِتَابِهِ الْإِحْلَاصَ وَالنِّيَّةَ عَنْ بَلَالِ بْنِ سَعْدٍ

(١) حلية الأولياء (١٠/٣٥٨).

رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: « لا تكن وليًّا لله في العلانية عدوّه في السريّة » (١)، فالله مطلع على ذلك، لا تكن وليًّا لله في العلانية، عليك لباس الأتقياء العلماء العباد الزهاد وأنت في حقيقة الأمر من البعداء ومن الأعداء، قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [سورة النساء: ١٠٨].

يَا قَوْمُ مَنْ أَظْلَمُ مِنْ وَعِظِ

خَالَفَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي الْمَلَا

أَظْهَرَ بَيْنَ النَّاسِ إِحْسَانَهُ

وَبَارَزَ الرَّحْمَنَ لَمَّا خَلَا



من حق الحياء حق المراقبة

عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي
فافعل ما شئت» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مقام الحياء جامع لمقام
المعرفة والمراقبة» (٢).

ذكر ابن رجب عن أبي حامد الخُلُقاني قال: قلت
لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) رواه البخاري (٣٤٨٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٥٧).

يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة
والنار، أي شيء تقول فيها؟

قال: في مثل ماذا؟

قلت: مثل ما تقول:

إذا مَا قَالَ لي ربي أما استحييت تعصيني
وتُخفي الذنبَ عَنْ خلقي وبالعصيانِ تأتيني

قال: فردّ الباب، وجعل يقول:

إذا مَا قَالَ لي ربي أما استحييت تعصيني
وتُخفي الذنبَ عَنْ خلقي وبالعصيانِ تأتيني

فخرجت وتركته^(١).



(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٩).

المراقبة أصل أعمال القلوب

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عِبَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالْمِرَاقَبَةِ هِيَ: «أصل لجميع أعمال القلوب كلها» (١).

الله أكبر!! هي صلاح لعبادة الرغبة والحياء والتعظيم والرغبة والتوكل والرجاء والخوف والمحبة وعدد من هذه الكنوز العظيمة في القلوب، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله، كما في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٢).

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه.

(٢) متفق عليه.

فعبادة المراقبة صلاح للقلوب، وصلاح القلوب
صلاح للأبدان.

قال مسروق رَحِمَهُ اللهُ: « من راقب الله في خواطره
عصمه في حركات جوارحه » (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: « وأرباب الطريق مجمعون
على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظها في
حركات الظواهر، فمن راقب الله في سِرِّه حفظه الله في
حركاته في سِرِّه وعلايته » (٢).

إذاً صلاح المعاش والمعاد بعبادة المراقبة.



(١) رسائل ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ (٣ / ١١٢).

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٦٦).



لا يشترط في عبادة المراقبة أن تكون في العلماء، بل ربما يكون من عامة الناس ولكن هو على جانب عظيم في هذه العبادة، جاء في الأثر أن نافعاً خرج مع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة فمرَّ بهم راعٍ.

فقال له عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هلم يا راعي فأصب من هذه السفرة.

فقال: إني صائم.

فقال له عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في مثل هذا اليوم الشديد حرُّه وأنت في هذه الشعاب في آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم!!.

فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية فعجب ابن عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال: هل لك أن تبيع لنا شاة من غنمك نجترها

ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها.

فقال: إنها ليست لي إنها لمولاي.

قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت أكلها

الذئب.....

فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو

يقول أين الله؟؟!!

قال: فلم يزل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : قال الراعي:

فأين الله.

فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيده فاشترى منه
الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهب له الغنم (١).

أخي في الله إذا كنت في خفاء ولا يراك أحد من الناس
فاعلم أن الله مطلع عليك، كثير من الناس يخلو وينظر
ربما في المحرمات وفي الجوالات، والقنوات!!
وإذا خلوت بريئة في ظلمة

والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها
إن الذي خلق الظلام يراني



(١) ذكر هذه القصة ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في صفوة الصفوة (٢/ ٤٠٢).



قصص في المراقبة

رَاوَدَ رَجُلٌ امْرَأَةً فِي فَلَائَةٍ فَأَبَتْ فَقَالَ لَهَا مَا يَرَانَا إِلَّا
الْكَوَاكِبُ قَالَتْ فَأَيْنَ مَكُوكِبِهَا؟!!!^(١).

وَأَكْرَهَ رَجُلٌ امْرَأَةً عَلَى نَفْسِهَا وَأَمَرَهَا بِغَلْقِ الْأَبْوَابِ
فَفَعَلَتْ فَقَالَ: هَلْ بَقِيَ بَابٌ لَمْ تَغْلِقْهُ قَالَتْ: نَعَمْ الْبَابُ
الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا^(٢).

وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَرَجَ ثَلَاثَةٌ يَمْشُونَ
فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ
عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ». قَالَ: «فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ

(١) رسائل ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ٧١).

(٢) رسائل ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ٧١).

بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي
أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ
فَأَحْلُبُ، فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَأَتِي بِهِ أَبِي فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ
أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَحِثْتُ فَإِذَا
هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصَّبِيَّةُ
يَتَضَاغُونَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَأْبُهُمَا حَتَّى
طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ
وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ». قَالَ: «فُفْرِجْ
عَنْهُمْ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحَبُّ
امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ،
فَقَالَتْ: لَا تَنَالْ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ. فَسَعَيْتُ
فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ
وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتُ

تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً». قَالَ : «فَفَرَجَ عَنْهُمْ التُّلُثَيْنِ. وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَعْطِنِي حَقِّي. فَقُلْتُ : انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ. فَقَالَ : أَتُسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ : فَقُلْتُ : مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا. فَكُشِفَ عَنْهُمْ» متفق عليه.

وأعظم من ذلك كله قصة يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** مع امرأة العزيز وقد خلد الله ذكرها في القرآن قال الله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة يوسف: ٢٣].



قال تعالى: ﴿يَبْنَىٰ إِلَٰهًا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ
يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ١٦].

عبادة المراقبة هي التربية، فمن أراد التربية الصحيحة
لنفسه ولأهل بيته ولأبنائه وبناته فهذه هي التربية، أن
يتربى النشؤ على مراقبة الله **عَزَّجَلَّ**، لو كان مجرد خوف
من أبيه ربما إذا خلى بالمحارم انتهكها، لكن إذا تربى
على الخوف من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فإنه سيكون على
الصراط المستقيم وعلى الطريق القويم فهذه التربية
الصحيحة (**احفظ الله يحفظك**).

والطريقة المثلى في تربية الأطفال على المراقبة هي :
أ- أسلوب التلقين.

(الله مطلع علينا) (الله يسمعنا) (الله يعلم كل شيء).

ب- ثم أسلوب القصص.

ج- ثم إذا كبروا أسلوب الموعظة.





امتحان في المراقبة

ذكروا عن بعض العلماء أنه أراد أن يمتحن طلابه
بهذه العبادة العظيمة عبادة المراقبة، فدفع لكل طالب
طائراً فقال له:

اذبحه في مكان لا يراك فيه أحد، فكل طالب من
هؤلاء الطلاب ذهب إلى جبل، أو إلى غرفة وذبح ذلك
الطائر، فجاء أولئك الطلاب وأحدهم لم يذبح طائره،
فلما سأله ذلك الشيخ لمَ لم تفعل ما أمرتك به؟ قال لم
أجد مكاناً، أنت قلت في خطابك لي بأن أذبحه في مكان
لا يراني فيه أحد،

فهذا الطالب لمراقبته لله عَزَّوَجَلَّ استشعر أن الله مطلع عليه وأنه لن يجد لذلك المكان سبيلاً.

فكان هذا هو المراد والمقصود من هذا الدرس، مراقبة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يامن يرى مدَّ البعوضِ جناحَهُ
في ظلمةِ الليلِ البهيمِ الأيلِ
ويرى نياطَ عروقِها في نحرها
والمخَ في تلكِ العظامِ النحلِ
امنن علي بتوبةٍ تمحوها
ما كان مني في الزمانِ الأولِ



الفراصة ثمرة المراقبة

قال شجاع بن شاه الكرمانى رَحِمَهُ اللهُ: « من عَمَرَ ظاهره بالسنة، وباطنه بالمراقبة، وغَضَّ البصرَ عن المحارم، وكَفَّ النفسَ عن الشبهات، وأَكَلَ الحلالَ لم تخطأ له فراصة ».

وكان شجاع بن شاه الكرمانى رَحِمَهُ اللهُ لا تخطأ له فراصة^(١)، فهذا يدل على صفاء ونقاء ظاهرًا وباطنًا بخلاف الذي يُعَرِّضُ بصره للمحرمات.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في الداء والدواء: « داء عشق الصور »، وذكر رَحِمَهُ اللهُ أنه ليس شيءٌ أضيع لمصالح الدين والدنيا منه.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/٤٢٥) (١٥/٣٩٦).

وذكر رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ هذا المرض والداء عذاب في الدنيا قبل الآخرة.

أخي رحمك الله إلى متى وأنت من مقطع إلى آخر، ومن فلم إلى آخر، وتعيش في شقاء وعناء، ولا يكون عندك الرضا، بما قسم الله لك من الحلال.

ذكر ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ بمعنى كلامه أَنَّ هذا المبتلى بعشق الصور تضعف عنده الفراسة، بل يضعف عنده الذكاء، ويصير مشتتاً في فكره وفي ذكائه وفي نظره وفي تأمله، وهذا يجده الإنسان من نفسه إذا كان مقبلاً على الطاعة، وكان في خلوة فيرى الفتح في الفهم والعلوم، بخلاف ما إذا كان مشوشاً ربما بفضول المباحات، ناهيك عن المحرمات والمنكرات، فهذا من ثمار عبادة المراقبة لا تخطأ له فراسة معناه أنه يصير على ذكاء.

فمن أراد التقدم في جانب العلم فعليه بمراقبة الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ: «... وإذا عزم العبد على ترك
الآثام أتته الفتوح» (١).



(١) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللهُ.

مراقبة في فعل الخيرات

المراقبة تكون في ترك المحرمات، وتكون كذلك في فعل الخيرات، هو في عباده ويعلم ويشعر أن الله مطلع عليه قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقَبَّلُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٨-٢١٩]، أي في حال القيام وفي حال الانتقال من حالة إلى حالة في الصلاة من ركوع إلى سجود، الله مطلع عليك، استشعر هذا المعنى حتى تكون على اتقان وإحسان في العمل، لقوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وجاء في حديث صححه العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** «صل صلاة مودع كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١).

(١) السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٤٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتكلم على عبادة المشاهدة في عدة مواطن من كتبه.

قال: أن تعبد الله كأنك تراه مستويًا على عرشه حيًّا قيومًا عزيزًا حكيمًا عليمًا، تأمل في هذا المقام العظيم أنت في صلاة وأنت مقبل على الله وتستشعر هذا المعنى العظيم، كأنك ترى رب العالمين العظيم الكريم الودود اللطيف العلي الأعلى الرحمن الرحيم السلام، تعبد الله كأنك تراه، كأنك تراه وليس المراد التكيف والتمثيل؛ لأن هذا محرم قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٠].

قوله: «كأنك تراه...».

يقول فيه العلماء: هو مقام المشاهدة.

قال ابن رجب **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام ويتفاوت أهل هذا المقام بحسب قوة نفوذ البصائر»^(١).



(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٩).



ذنوب الخلوات

لا بد أن نربي أنفسنا على مراقبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
وعلى الخوف من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وألا يكون العبد من
أولئك الذي قال فيهم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَأَعْلَمَنَّ
أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ
تِهَامَةَ، بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا». قَالَ
ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ
مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ
جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ
أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

رواه ابن ماجه^(١) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه
 شيخنا الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في
 الصحيحين.

يا مَذْنِبَ الذَّنْبِ أما تستحي
 والله في الخلوة ثَانِيكََا
 غَرَّكَ مِنْ رَبِّكَ إِمَهَالُهُ
 وَسْتَرُهُ طَوْلَ مَسَاوِيكََا





أنت مراقب!!!

يا أخي بارك الله فيك

✿ إذا قيل لك: أنت مراقب من إدارة الأمن.

من أمن الدولة!!

وربما تكون في دولة الأمن فيها شديد.

✿ يقال لك: أنت مراقب كيف يكون حالك

في مدخلك؟!!!

في مخرجك؟!!!

في أقوالك؟!!!

هناك كاميرات ترصد!!

وهناك جواسيس يتتبعون الخطوات والعثرات!!

فلا شك أنك ستكون في خوف وفي وجل.

مع أن هذه المراقبة من البشر ويخفى عليهم ما يخفى.

فكيف بمراقبة اللطيف الخبير؟!

قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

[سورة الملك: ١٤]

فأنت مراقب من الله عزَّجَلَّ.

لو أرسلت لإنسان رسالة في الجوال

انتبه يا فلان

أنت مراقب من بعض الجهات!!!

ربما ما ينام فإذا قلت له .. أنت مراقب من الله خفَّ

عليه الأمر والله المستعان.

هذا يدل على ضعف المراقبة في القلوب.

وإذا ضعفت المراقبة معنى ذلك التعدي وانتهاك
الحرمات.

وما حصل الفساد والإجرام والسرقة والقطيعة
وقطع الطرق وسفك الدماء إلا بسبب عدم المراقبة
لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وعدم الخوف من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**،
أو ضعف ذلك.





ويروى أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث معاذاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عمل
فقدم وليس معه شيء!! فعاتبته امرأته فقال: كان معي
ضاغط يعني - من يضيق عليّ - ويمنعني من أخذ شيء
وإنما أراد معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ربّه عزَّ وجلَّ فظنت امرأته أن عمر
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث معه رقيقاً^(١).



(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٦٣).



أخي في الله

هذه العبادة العظيمة فيها صلاح لجميع أعمال
القلوب وإذا صلحت القلوب، صلحت الأبدان وإذا
صلحت الأبدان، صلح المعاش وصلاح المعاد، فالشأن
كل الشأن في مراقبة الله.

قال الحافظ الصوري رَحِمَهُ اللهُ: « علامةُ الحبِّ لله
المراقبةُ للمحجوبِ والتحري لمرضاته » (١).

أَسْأَلُ اللهَ بِمَنِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ أَنْ
يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، رَبَّنَا آتِنَا

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٣٩١).

في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار نسأل
السلامة والعافية.

وَحُقَّ لِي فِي الْخِتَامِ أَنْ أَتَمَثَلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وغيرُ تقِيٍّ يأمرُ الناسَ بالتقِيٍّ

طبيبٌ يداوي الناسَ وهو سقيمٌ



وقول الآخر:

أنا الذي أغلقتُ الأبوابَ مجتهداً

على المعاصي وعينُ الله تنظرني



اللهم أصلح فساد قلوبنا.

اللهم أصلح فساد قلوبنا.

اللهم أصلح فساد قلوبنا.

((نصحٌ يكتب بالذهب لأهل المنابر والخطب))

قال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري رحمهما الله:

« وإذا جلست للناس فكن واعظ لقلبك ونفسك، ولا

يُعَرِّثَنَّكَ اجتماعُهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك والله

يراقب باطنك » (١).

«تم بحمد الله»

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك

وأتوب إليك.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٦٦).

هذه الرسالة أصلها كلمة بعد العصر

بتاريخ ١ / رجب / ١٤٤٤هـ

في قرية / المصراح / ردفان

ثم فرغت وزيد فيها بعض الأشياء

والحمد لله رب العالمين.

فهرس الكتاب

- ٥.....تعريف المراقبة
- ٨.....أعلى مقامات المراقبة
- ٩.....من تعبد لله بخمس من أسمائه حقق المراقبة
- ١٤.....من حقق الحياء حقق المراقبة
- ١٦.....المراقبة أصل أعمال القلوب
- ١٨.....مراقبة الراعي
- ٢١.....قصص في المراقبة
- ٢٤.....التربية الصحيحة في مراقبة الله
- ٢٦.....امتحان في المراقبة
- ٢٨.....الفراسة ثمرة المراقبة
- ٣١.....مراقبة في فعل الخيرات
- ٣٤.....ذنوب الخلوات
- ٣٦.....أنت مراقب
- ٣٩.....معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مراقب

نصحٌ يكتب بالذهب لأهل المنابر والخطب..... ٣٩

خاتمه ٤٠